الدكتور عمر محمد حامد إبراهيم في حوار حول شهر رمضان المعظّم:

رمضان شهر لرفع الروحانيات وليس لملء البطون

على المرأة أن تجعل من إعداد الطعام للصائمين طاعة لله

حوار: قسمة أحمد خليفة
تصوير: محمد جعفر نايل

تخرج في جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الشريعة والقانون عام ١٩٩٠م ، عمل معلماً بالمدارس الثانوية بمدينة جوبا، ومن ثم مساعداً للتدريس بجامعة القرآن الكريم، نال درجة الماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية ، و نال درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم، عمل بالتدريس في العديد من فروع الجامعة، عمل عميداً لكلية الشريعة ، ومديراً لفرع الجامعة بولاية البحر الأحمر، يشغل الآن منصب عميد (مكلّف) بكلية الشريعة والقانون بجامعة القرآن الكريم، لديه أطفال ثلاثة ذكور وبنت واحدة ، التقت (نور المثاني) د. عمر محمد حامد ، وأجرت معه الحوار التالي الذي تحدث فيه حول شهر رمضان المبارك وفضائله ، وما الطريقة المثلى في الصوم؟ ، وكيف يمضي الصائم نهاره وليله ،وتحدث عن السمو بالروحانيات في هذا الشهر الفضيل ، وخص بنصائحه النساء والشباب في عدم إضاعة الوقت فيما لايفيد ، فإلى مادار في حديثه :

الصوم يُسهم في خلق المجتمع الفاضل

□ من المعلوم أن المسلم يستعد لشهر رمضان قبل حلوله ، كيف يكون الاستعداد على الوجه الأكمل؟ ، وما النظام الأمثل للمسلم في يومه خلال هذا الشهر؟.

. بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، أولاً نشكر لكم هذه الزيارة وهذا اللقاء ونسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه ويجعل سعيكم في هذا المجال في ميزان حسناتكم ، المؤمن يستعد لكل موسم، وقد جعل الله لنا مواسم متعددة للعبادة، نستعد اليوم للقاء رمضان، ثم بعد لقاء رمضان والفرحة بالعيد نستعد للحج ، ثم لعاشوراء والتاسوعاء وهكذا أيامنا كلها مواسم للخير، وقبل أيام كان الناس يتحدثون عن ذكرى معراج النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا الشهر (رمضان) شهر فضيل مبارك يكفيه من الشرف والمباركة أنه أنزل فيه القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور ، ونزول أول سورة من القرآن كانت في هذا الشهر المبارك، وخلد ذلك كله بليلة القدر التي احتوى عليها هذا الشهر، وهو شهر مبارك يستحق الاستعداد ، لأن المسلم يجد فيه الروحانيات المتعددة التي تنتهي به إلى غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليكفر به عاماً ماضياً وعاماً في المستقبل، وهذا الفضل الذي ذكرناه لا يجده كل إنسان وإنما يجده من يجتهد ، لأن النتائج مربوطة بالأعمال، صحيح أن الله تبارك وتعالى يكرم من شاء أن يكرمه ولكن بعدله جعل العمل سبباً للفوز بهذه النتائج المباركة.

والسؤال ما الذي تستعد به؟، كثير من الناس يخافون من شهر رمضان أكثر مما يفرحون به، الخوف من العطش والخوف من الجوع، ربات البيوت في هذه الأيام يتجهن نحو الاستعداد للموائد الرمضانية (أين الآبري . أين الشرموط . الحلو مر . القونقوليز . الكركدي) وحتى أرباب البيوت مشغولون (أين السكر . أين وأين ... الخ) وبدلاً من أن يجعل هذا الشهر شهراً يرتفع فيه المسلم بروحانياته يجعله شهراً لزيادة شهوة البطن أكلاً وشرباً ؛ فيجب أن يأتي علينا هذا الشهر وقد خفت أوزاننا روحانياً . بمعنى أن نتخلص من ذنوبنا بالتوبة . بالاستغفار والاستعداد للصوم ، فرحاً بمقدمه والعبادة بالفرح بقيام الليل سواءاً كان ذلك في شكل التراويح المعهودة أم كان ذلك في شكل صلوات متعددة في داخل الليل . الاستعداد المطلوب هو أن نتوجه إلى الله راغبين في فضله طامعين في رحمته، طامعين أن نفوز بليلة القدر التي تفوق ألف شهر، وهذا لا يمنع من أن نستعد مادياً بما يعيننا على العبادة ، وكون الإنسان يأكل شيئاً طيباً ويشرب شيئاً طيباً ليتقوى به على العبادة هذا أيضاً عبادة إن شاء الله.

□ بالأمس القريب زرفت عيون الصالحين دموع الحزن على فراق رمضان وها هي اليوم تستقبله بدموع الفرح، كيف لنا أن نستشعر عظمة هذا الشهر في دواخلنا؟.

. نستشعر عظمة هذا الشهر من عظمة ما فيه من رحمة الله تبارك وتعالى المتمثلة في الغفران والعتق من النار، شهر فيه ليلة تفوق العبادة فيها والقيام فيها ألف شهر، تلاوة القرآن مضاعفة، شهر فيه الصوم والصوم عبادة اختص الله بها تبارك وتعالى بفضلها وبالرد عليها وبالمكافأة عليها (كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) ولذلك نشعر بعظمة هذا الشهر، فمن كانت أمنيته الغفران ولقاء الله وهو فرحان وأن تُغفر ذنوبه ويعتق من النار قطعاً يفرح بهذا الشهر، واستشعارنا بهذه العظمة هو الذي يهون علينا العطش فيه، وهو الذي يهون علينا الجوع فيه، وهو الذي يساعدنا أن نقوم بكل واجباتنا.

□ في شهر رمضان تصوم الجوارح كلها عن معصية الله، فالعين مثلاً تصوم عن النظر إلي ماحرّم الله ، ويصوم اللسان عن الكذب والنميمة، كيف يمكن لشهر رمضان أن يسهم في بناء الفرد المسلم؟.

. الصوم درجات الأدنى أداء الواجب حتى لا يسأل الإنسان يوم القيامة عن لماذا لم يصم؟ هذا هو الحد الأدنى وهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى مغيب الشمس بنية، والصيام بمعناه الكامل هو الصيام عن كل المعاصي والاجتهاد ليس عن المعاصي فقط بل حتى عن كثير من المباحات في غير المعاصي (اللغو في الحديث . اللمز . النظر إلى المحرمات . السماع إلى المحرمات) فهذا يكون الصيام الكامل (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) فإذا كان الصوم صوماً كاملاً بأن كان الإنسان صائم الجوارح كلها فإن ذلك قطعاً سيترتب عليه أثر في أنه اتقى الله تبارك وتعالى يكرمه بأن يجعله فرداً صالحا.

من هنا يمكن القول إنَّ الصوم يسهم في خلق المجتمع الفاضل المقصود بالشريعة وبالأحكام الشرعية.

أما إذا كان الصوم صوم الواجب، والحد الأدنى فإنه لا يُسهم كثيراً في هذا الاتجاه.

□ أحد السلف الصالح وأظن أنه يحيى بن كثير يصف لنا دعاء الصالحين فيقول من دعائهم : (اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلا) . ماذا عن الدعاء في شهر رمضان؟

. أصل الدعاء هو العبادة وكل العبادات دعاء، والدعاء له مظان إجابة والإنسان عليه أن يدعو في كل وقت وفي كل مكان وعلى أية حال ، ولكن عليه أن يغتنم السوانح، ومن مظان القبول الدعاء في أثناء العبادة أو عقب العبادة ، أو عند بداية العبادة، فهناك أدعية مأثورة في حالات محددة، عند رؤية الهلال، عند ثبوت الشهر، عند الإفطار، هذه الأدعية يفضل أن يأتي بها الإنسان على الطريقة التي وردت بها في سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، في غيرها يجتهد في هذا الشهر من الدعاء لأنه أقرب لله تبارك وتعالى بروحانياته أبعد من الذنوب وكلما كان الأمر فيه مظنة إجابة الدعوة ولذلك يجتهد الإنسان فيه من الدعاء فيما يعينه في دينه ودنياه، وفيما ينفعه في عاجل أمره وآجله.

□ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اقرأو القرآن فإنه يأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة) ماذا عن تلاوة القرآن في شهر رمضان ؟

. كما أسلفت في بداية الحديث فإن القرآن هو حجة الله الباقية على مر الزمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم واعظان، فذكر منهما القرآن،) فالقرآن واعظ ، وواجب المسلم أن يتعهد القرآن تلاوة وفهماً وتدبراً ومن ثم عملاً بما جاء به القرآن في كل حياته ، ويكون في شهر رمضان آكد. وإذا كان القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور كله في رمضان، وأن القرآن ابتدأ نزوله للنبي (صلى الله عليه وسلم) في شهر رمضان ، وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يدارسه جبريل مدارسة سنوية في كل رمضان فهذا يدل على أن الإنسان يجب أن يكون له ورد من القرآن يتلوه في شهر رمضان وأقل ما يمكن أن يتلوه مرة واحدة في الشهر ، وأن القراءة المطلوبة هي القراءة بروية . بتدبر وفهم المعاني والوقوف عند الأوامر والنواهي إن شاء الله.

□ من الملاحظ أن المرأة هي المعنية بإعداد الطعام في شهر رمضان ، وقد يكون ذلك خصماً على العبادة في هذا الشهر الفضيل، ما النصيحة التي تقدمها للمرأة في هذا الشهر؟.

. المرأة في هذا الشهر يجب أن تنظم وقتها ؛ لأن الأوقات الثمينة تهدر في إعداد الطعام، فيجب على المرأة أن تجعل لنفسها حزباً في يومها، عليها أن تجعل صلاة الليل جزءاً من وردها في هذا الشهر كما إعداد الطعام عبادة بدلاً عن العادة، فإذا قصدت بإعداد الطعام الإسهام في مساعدة الناس ليتقووا على العبادة، فسيكون إن شاء الله إعدادها للطعام وتعبها وعطشها في غسل الأواني وإعداد الإفطار كل ذلك إن شاء الله في ميزان حسناتها، عليها فقط الاجتهاد ، ونصيحتي للمرأة في هذا الشهر أن تهتم بنفسها في هذا الشهر وأن تهتم بعباداتها وتجعل عادة صنع الطعام عبادة.

□ هناك من الشباب من يقضي نهاره كله في النوم ويقضي جل ليله سهراً فماذا أنت قائل لهم ؟

. مثل هذا قطعاً هو خائف من الصوم يريد أن يصحو بعد أن ينتهي اليوم ، يوم رمضان البعبع المخيف في نظره ؛ ولذلك أمثال هؤلاء في كثير من الأحوال يتحول عندهم الصوم إلى عادة أكثر من أنه عبادة وهذا وضع خاطئ، عليهم أن يصوموا وأن يتحملوا المشاق الطبيعية، ونحن لا نرفض النوم في شهر رمضان ، ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب العمل ، وإذا كان لا بد من السهر فليسهروا في تلاوة القرآن. فليسهروا في الصلاة والعبادة . فليسهروا في عبادة الله تعالى بالدعاء . نجعل الليل سهراً في المباح وفي غير المباح وقضاء النهار في النوم هذا يسقط قطعاً الصوم ، فهو لا يطالب بالقضاء ولكنه لا يستفيد الفائدة المرجوة والتي تتمثل في الرحمة والغفران والعتق من النار وفضل ليلة القدر التي خص بها هذا الشهر.

□ ماذا عن الصدقات في شهر رمضان؟

. شهر رمضان شهر التقرب والعبادات، كما نتقرب فيه بالدعاء فيجب أن نتقرب فيه بصلة الأرحام، يجب أن نتقرب فيه بالإنفاق ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان منفقاً كريماً وأكثر نفقته في شهر رمضان فهو كالريح المرسلة عندما يدارسه جبريل القرآن، فشهر رمضان شهر يعلمنا الصبر على الجوع والعطش ، لذلك يجب أن نتعلم من هذا الصبر ، الصبر على مفارقة المال لأن كثيراً من الناس لا يقوون أن يدخلوا أيديهم في جيوبهم لينفقوا إلا للأكل والشرب في البيت، فالإنفاق في هذا الشهر مضاعف والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول : إنَّ الإنسان إذا أنفق في إفطار ولو بشق تمرة كأنه شارك الصائم في الأجر، والشهر أيضاً فيه من العظات إذ أنه يعلم الأغنياء الصبر، ويعرفهم بقيمة الجوع وبقيمة المال وبقيمة الأكل فكم من الناس عطاش، وكم من الناس جوعى فلا بد أن نذكر أفراد المجتمع بالإنفاق خاصة في هذا الشهر.

□ كلمة اخيرة:

. نسأل الله أن يبلغنا رمضان ونسأل الله أن يقبل منا الصيام ، وأن يعيننا على قيام لياليه ، وعلى التقرب إلى الله تبارك وتعالى في هذا الشهر، ونسأل الله أن يجعلنا جميعاً من عتقاء هذا الشهر المبارك ، ويعظم لنا الأجر، وأن يختم لنا أعمالنا كلها بالصالحات ، ويوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، ونسأل الله أن يعيد علينا هذا الشهر المبارك في العام القادم والمسلمون كلهم في عزة ، وكرامة ، و متعة ، وكلهم يخشع ولا يخشوا إلا الله تبارك وتعالى ، وجزاكم الله خيراً ونسأل الله أن يبلغنا هذا الشهر وسوداننا آمن مطمئن على وجه الخصوص.